النعمان بن مقرن المزني رجل المواقف الحاسمة

نايف محمد شبيب(*)

المقدمة

أكدت الشريعة الإسلامية على الجهاد وعدته من الفروض المهمة لا سيما في الدفاع عن بيضة الإسلام فضلا عن نشر تعاليمه في مختلف بقاع الأرض، وقد نزلت الكثير من الآيات التي تحث على الجهاد وتبشر المجاهدين بان لهم الأجر العظيم والعاقبة الحسنة. والمتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد ان فرض الجهاد قدم على بقية الفروض في كثير من الأحيان، ويتناول هذا البحث السيرة الجهادية لصحابي جليل درس وتخرج من مدرسة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم هو القائد العربي الكبير النعمان بن مقرن المزني الذي كان من أوائل المسلمين المشاركين في العمليات الجهادية لتحرير العراق وحامل لواء قيادة الجيوش الإسلامية في معركة نهاوند المعركة التي أقصت الإمبراطورية الساسانية ومهدت لبداية الفتوحات العربية الإسلامية في الأقاليم الشرقية ولذا سماها المسلمون فتح الفتوح، فهو بحق نموذجا للقائد الضرورة في الأوقات الحرجة والمواقف الحاسمة.

(*) قسم التاريخ/ كلية الآداب / جامعة الموصل.

اسمه ونسبه

هو أبو حكيم وقيل أبو عمر[١] النعمان بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير بن نصر بن حبيشة بن كعب بن عبد بن ثور بن هدمه بن لاطم بن عثمان[٢] بن عمر اد بن طابخة المزني[٣]، وجاءت تسميته بالمزني نسبة إلى مزينة بنت كلب بن وبرة او برة ام عثمان بن عمر بن اد[٤]، له سبعة اخوة هم سويد ومعاوية ونعيم وعقيل وعمر ومعقل[٥] وسنان[٦] ولهم عدة أولاد محدثون منهم معاوية بن سويد وعبد الله وعبد الرحمن ابني معقل، وعبد الله بن الوليد بن عبد الله بن معقل[٧].

---

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر (القاهرة: د/ت)، ج٤، ص١٥٠٥؛ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة (بيروت: د/ت)، ج٢، ص٣٥٦؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار صادر (بيروت: ١٩٦٨)، ج١٠، ص٤٥٦.

(٢) عز الدين بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد احمد عاشور، دار الشعب (القاهرة: د/ت)، ج٥، ص٣٤٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، تحقيق حسين أسد، ص ٤٠٣؛ بينما يذكر ابن قتيبة ان لاطم هو ابن اوس اخو عثمان. انظر: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف (بيروت: ١٩٦٩)، ص٢٩٩.

(٣) أبو محمد علي بن احمد بن حزم، جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٨٣)، ص٢٠١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٠٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٤٢.

(٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٢٠١؛ ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر (بيروت: د/ت)، ج٣، ص٢٠٥.

(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٢٠٢ ويذكر انه لم يبلغه الاسم السابع.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٠٤.

(٧) ابن حزم، جمهرة انساب العرب،ص٢٠٢

إسلامه

في السنة الخامسة للهجرة قدم وفد مزينة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من اجل إعلان إسلامهم ومبايعتهم له، وكان الوفد يتكون من أربعمائة فارس فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم إسلامهم وبيعتهم وجعل لهم الهجرة في دارهم وقال لهم انتم مهاجرون حيث كنتم[٨]، وكان من ضمن الوفد النعمان واخوته السبعة[٩].

وكان بيت آل مقرن من اكثر البيوتات التزاما بالإسلام وتعاليمه وحبهم للجهاد في سبيله، ويروى عن عبد الله بن مسعود انه قال "ان للايمان بيوتا وان بيت آل مقرن من بيوت الأيمان"[١٠] وكان النعمان مجاب الدعوة[١١]، واشتهر بروايته للحديث فروى عنه ابنه معاوية ومعقل بن يسار[١٢] ومحمد بن سيرين وأبو خالد الوالبي[١٣] ومسلم بن الهيضم وجبير بن حية الثقفي وغيرهم[١٤]، وروي ان النعمان بن مقرن قدم بغنم يسوقها إلى النبي صلى الله عليه وسلم لينفقها في سبيل

(٨) محمد بن سعد، كتاب الطبقات الكبير (ليدن: ١٣٢١) ، ج١، ق٢،ص٣٨.

(٩) ابن سعد، الطبقات،ج١، ق٢، ص٣٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٤٢؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١، ص٤٥٦.

(١٠) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٤٥٦.

(١١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥٧.

(١٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥٧؛ صفي الدين بن عبد الله الخزرجي، تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: محمود عبد الوهاب فايد، مكتبة القاهرة (القاهرة: ١٩٧١)، ج٣، ص٦٩.

(١٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٠٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٤٣.

(١٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥٧.

الله فيه الآية الكريمة[١٥] (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول إلا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم)[١٦].

جهاده

تذكر المصادر[١٧] ان أول مشاهد النعمان في الإسلام هي معركة الخندق شارك مع المسلمين في حفر الخندق والدفاع عن المدينة عندما تجمع الأحزاب للهجوم عليها سنة ٥هـ، وكان حاملا لأحد ألوية الرسول صلى الله عليه وسلم[١٨] وشهد هو واخوته صلح الحديبية[١٩]، وكان حامل لواء قومه بني مزينة يوم فتح مكة سنة ٨ هـ[٢٠] إذ كان عدد المشاركين من بني مزينة في فتح مكة اكثر من ألف فارس على رأسهم النعمان بن مقرن[٢١].

---

(١٥) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي البجاوي، دار النهضة (القاهرة: ١٩٧١)، ج٦، ص٤٥٠.

(١٦) سورة التوبة، الآية ٩٩.

(١٧) ابن سعد ، الطبقات، ج٤، ق١، ص٥٩؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (القاهرة: ١٩٨٧)، ج٢، ص٥٦٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٠٣.

(١٨) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين في الحديث، دار الفكر (بيروت: ١٩٧٨)، ج٣، ص٣٩٣.

(١٩) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٤٥٦.

(٢٠) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٠٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٤٢.

(٢١) أبو محمد عبد الله بن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت: د/ت)، ج٤، ص٤٢.

وفي سنة ١١ هـ توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وما ان علمت القبائل العربية بوفاته حتى أعلن بعضها الارتداد عن الإسلام على أساس ان صاحب هذا الدين قد توفي على الرغم من ان أبا بكر الصديق رضي اله عنه قد بين للجميع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم انه "من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت"(٢٢)، فكان أول الخارجين عبس وذبيان إذ أرسلوا رسلهم إلى أبي بكر رضي الله عنه بأنهم يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، ولكن أبا بكر رضي الله عنه انتفض للحق بكل قوة وقال: "لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه"(٢٣).

إلا ان القبائل المرتدة بقيت مصرة على ارتدادها بل انها بدأت تخطط للهجوم على المدينة فاستغلت خروج حملة أسامة بن زيد – وفيها معظم مقاتلة المسلمين في المدينة – والتي بعثها ابن بكر رضي الله عنه إلى بلاد الشام تنفيذا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته، وكأنهم استقلوا عدد المسلمين الباقين في المدينة فأرادوا الهجوم لمقاتلة أبي بكر رضي الله عنه ومن بقي معه من المسلمين، ولما علم ابن بكر رضي الله عنه بالأمر تهيأ وجمع رجال المدينة ثم خرج لملاقاتهم فجعل على ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى الساقة سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وقد داهموا المرتدين فوضعوا فيهم السيوف وقتلوهم شر قتله فهرب من بقي منهم فتبعهم ابن بكر رضي

(٢٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٢٠١.

(٢٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٢٤٣-٢٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت (بيروت: ١٩٦٥)، ج٢، ص٣٤٤.

الله عنه ومن معه حتى وصلوا ذي القصة[٢٤]، ثم عاد ابن بكر إلى المدينة وترك النعمان بن مقرن مع بعض الجنود هناك، وكانت تلك أول معركة يخوضها أبو بكر رضي الله عنه ضد المرتدين[٢٥].

ولما عاد أسامة بن زيد من حملته استخلفه أبو بكر رضي الله عنه على المدينة ليستريح هو ومن كان في الحملة من المسلمين، وهم بالخروج إلى ذي القصة، فطلب المسلمون منه ان يبقى ويعين قائدا غيره لمقاتلة المرتدين ولكن أبا بكر رضي الله عنه رفض ذلك وقال: "لا والله لا افعل ولأواسينكم بنفسي" فخرج في تعبئته إلى ذي القصة فانضم إليه النعمان وشقيقيه عبد الله وسويد[٢٦]، فنزلوا على أهل الربذة[٢٧] فقاتلوا المرتدين وأوقعوا بهم فهربت عبس وذبيان وبنو بكر[٢٨] وبذلك يكون النعمان واخوته قد جاهدوا جهادا كبيرا في حروب الردة، بل انهم كانوا الذراع الأيمن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وساهموا مساهمة كبيرة من اجل تطبيق تعاليم ومبادئ الإسلام ونشر الأمن والاستقرار في شبه الجزيرة العربية.

وقد تبلور النعمان وجهاده في عهد الخليفة عمر الخطاب رضي الله عنه، فبعد ان تم الاستقرار في شبه الجزيرة العربية توجهت أنظار الخلافة الإسلامية

---

(٢٤) موضع يبعد عن المدينة ٢٤ ميلا، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت (بيروت: ١٩٥٧) ج٤، ص٣٦٦.

(٢٥) الطبري، تاريخ الرسل ج٣، ص٢٤٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٤٥.

(٢٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٢٤٧.

(٢٧) قرية تبعد عن المدينة مسيرة ثلاثة أيام، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤.

(٢٨) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٢٤٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٤٥.

إلى تحرير العرق وبلاد الشام، إذ كان الفرس الساسانيون يسيطرون على بلاد العراق بينما كانت بلاد الشام خاضعة للاحتلال البيزنطي.

وقد علم الفرس بمسير العرب إليهم فجهزوا جيشا كبيرا جعلوا على قيادته رستم اعظم قادة الفرس آنذاك، وكانت القوات العربية الإسلامية قد نزلت موضع القادسية[٢٩] سنة ١٤هـ بقيادة سعد بن أبي وقاص، فكتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد يطلب منه ان يرسل إلى يزدجرد ملك الفرس وفدا من آهل الرأي والجلد والمشورة يدعونه للإسلام ـ كما هو دأب المسلمين قبل مقاتلة الكفار في كل حين ـ فاختار سعد جماعة من أخبار المسلمين المتواجدين في جيشه كان في مقدمتهم النعمان بن مقرن ومعه بسر بن أبي رحم وحملة بن حوية وحنظلة بن الربيع وفرات بن حيان وعدي بن سهيل وعطارد بن حاجب والمغيرة بن زرارة الاسدي والأشعث بن قيس والمغيرة بن شعبة والمعنى بن الحارثة[٣٠].

فدخلوا عليه في احسن زي لهم وعيهم البرود والنعل[٣١]، فسألهم يزدجرد عن سبب غزو العرب له فقال النعمان بن مقرن لأصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته فقالوا بل تكلم فقال: "ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهاها عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة ثم أمر ان ينبذ إلى من خالفه من العرب فبدأ بهم فدخلوا معه على وجهين: مكره عليه فاغتبط وطائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعا فضل

(٢٩) موضع بينه وبين الكوفة ١٥ فرسخا، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٢.

(٣٠) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٤٩٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٥٦.

(٣١) احمد بن علي اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، دار بيروت (بيروت: ١٩٦٠)، ج٢، ص١٤٤.

ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم امرنا ان نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبّح القبيح كله، فان أبيتم فامر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية، فان أبيتم فالمناجزة، فان أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأمنا على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وان بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم"[٣٢].

فيتبين من خلال هذا النص مدى البلاغة التي يمتلكها النعمان ولعلم أصحابه الذين معه في الوفد ببلاغته هذه لم يتقدم عليه أحد، فاستطاع بهذه الخطبة الوجيزة ان ينقل صورة واضحة عن الدين الإسلامي وما جاء به، وعلى الرغم من انه خيّر يزدجرد بالإسلام او بدفع الجزية بدلا من الحرب إلا ان يزدجرد كان متعنتا واشتط غضبا عندما استمع إلى كلام النعمان وقال لولا ان الرُسل لا تُقتل لقتلتُكم[٣٣].

ثم قال يزدجرد: "ارجعوا إلى صاحبكم – يقصد سعد – فاعلموا اني مرسل اليكم رستم حتى يدفيكم ويدفيه في خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم سابور"[٣٤]. ثم دعى بوقر فيه تراب وقال احملوه على راس سيدهم فقال عاصم بن عمر: انا سيدهم ومضى مسرعا وقال ظفرنا والله بهم ووطأنا أرضهم[٣٥].

(٣٢) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٤٩٨-٤٩٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٣٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٥٠٠.

(٣٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٥٠٠-٥٠١.

(٣٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١٤.

ولما عاد الوفد ومعهم وقر التراب قال سعد: "ابشروا فقد أعطانا الله مقاليد ملكهم"[٣٦]، فتجهز المسلمون للقتال واعدوا العدة، وعندما قدمت القوات الفارسية التحم الطرفان ودارت رحى الحرب بعد ان رفض رستم كل محاولات المسلمين السلمية، فقاتل المسلمون قتالا شديدا كانت فيه الغلبة لهم فأوقعوا بالفرس وقتلوهم شر قتلة بمن فيهم قائدهم رستم وجمعوا الكثير من الأسلاب والغنائم[٣٧].

وعندما توجهت القوات العربية الإسلامية سنة ١٥هـ لتحرير المدائن التي كانت مقر الملك الساساني، هرب يزدجرد إلى مرو[٣٨] وبدأ يثير الفرس ويؤلبهم على العرب ويذكرهم بما كان من ماضيهم المجيد، فتكاتب أهل فارس والاحواز واجتمعوا وتعاهدوا على مقاتلة العرب المسلمين، فلما وصلت الأخبار إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص بان يرسل عددا كبيرا من جند المسلمين في الكوفة إلى الاحواز ويجعل النعمان بن مقرن عليهم، وكتب إلى أبي موسى الاشعري في البصرة ان يرسل أيضا جيشا من جند البصرة ويؤمر عليهم سهل بن عدي، وعلى أهل البصرة والكوفة جميعا ابن سبرة بن أبي رهم[٣٩].

---

(٣٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٥٠١.

(٣٧) للمزيد من التفاصيل عن معركة القادسية انظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٤٣-١٤٥؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس (بيروت: ١٩٦٥)، ج٢، ص٣١٣-٣٢٠؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص ٤٨٠و ما بعدها.

(٣٨) اشهر مدن إقليم خراسان بينها وبين نيسابور ٧٠ فرسخا، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٢-١١٣.

(٣٩) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٨٣-٨٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٤٦.

فسار النعمان بقواته من وسط السواد وقطع دجلة عند ميسان(٤٠) ثم عبر إلى الاحواز على البغال وتوجه نحو رامهرمز(٤١) مقر الهرمزان قائد الجيوش الفارسية، فلما علم الهرمزان بقدوم النعمان تهيأ وبادر الهجوم فالتقى الطرفان واقتتلوا قتالا شديدا هرب على أثره الهرمزان إلى تستر(٤٢) فتبعه النعمان(٤٣).

ولما سمع جند البصرة بالواقعة ساروا مسرعين إلى تستر واجتمعوا مع قوات النعمان واصبحوا جميعا تحت قيادة سبرة كما أمر الخليفة عمر رضي الله عنه فحاصروا الهرمزان وجيشه بضعة اشهر وناوشوهم واكثروا فيهم القتل فاضطر الفرس إلى الانسحاب داخل أسوار المدينة وتحصنوا فيها ولكن قوات النعمان استطاعت اقتحام المدينة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فطلب الهرمزان الامان فاوثقوه وأرسلوه إلى الخليفة عمر رضي الله عنه مع انس بن مالك والأشعث بن قيس(٤٤).

وبعد ذلك توجهت القوات العربية الإسلامية جميعا لمحاصرة السوس(٤٥)، ومن ضمنها قوات النعمان فضربت حصارا على المدينة من جميع الجهات، ولما

(٤٠) كورة كبيرة بين البصرة وواسط، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٨٧.

(٤١) إحدى مدن إقليم الاحواز بنواحي خوزستان، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٧.

(٤٢) اعظم مدن إقليم خوزستان بالقرب من شوستر، الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩.

(٤٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٨٤ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٤٦.

(٤٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٨٤-٨٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٤٧-٥٤٨؛ وفي بعض المصادر ان القائد هو أبو موسى الاشعري انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، المجمع العلمي العراقي (بغداد: ١٩٦٧)، ج١، ص١١٦-١١٧؛ احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة: ١٩٥٧)، ج٢، ص٤٦٨.

(٤٥) بلدة بخوزستان طولها ٣٤ درجة واسمها تعريب لكلمة الشوش، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٠.

طال أمر الحصار ولم تستسلم المدينة جاءت الأوامر بالانسحاب لان الفرس كانوا قد بدأوا يتجمعون في نهاوند[٤٦]، وقبيل الانسحاب استطاع أحد قادة النعمان ان يقطع سلاسل باب المدينة فاقتحمت القوات الإسلامية المدينة ودخلتها عنوة فأصاب المسلمون مالا كثيرا وغنائم وفيرة[٤٧].

وبعد عودة قوات النعمان إلى الكوفة وجه سعد النعمان إلى كسكر[٤٨] وعينه جابيا للخراج عليها[٤٩]. وتذكر بعض المصادر[٥٠] ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجه النعمان لفتح اصبهان[٥١] قبل ان يوجه لفتح نهاوند، بل ان البعض يذكر ان النعمان إستشهد في اصبهان[٥٢]، ولكن المرجح ان اصبهان فتحت بعد نهاوند على يد عبد الله بن عبد الله بن عتبان[٥٣].

---

(٤٦) مدينة عظيمة بينها وبين همدان مسيرة ثلاثة أيام، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٣.

(٤٧) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٩٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٥١، بينما يذكر خليفة بن خياط انها فتحت صلحا، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص١١١.

(٤٨) مدينة بين البصرة والكوفة وهي تمثل قصبة مدينة واسط، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦١.

(٤٩) أبو حنيفة احمد بن داؤد الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة: ١٩٦٠)، ص١٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٤.

(٥٠) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٤٥٦؛ الخزرجي تهذيب تهذيب الكمال، ج٣، ص٩٦.

(٥١) إقليم جبلي في بلاد فارس مساحته ١٦٠٠ فرسخا ويحتوي على ستة عشر رستاقا، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٠٧.

(٥٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٠٥.

(٥٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٣٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٨-١٩؛ ويذكر ابن اعثم الكوفي انها فتحت صلحا على يد أبي موسى الاشعري، انظر: كتاب الفتوح، دار الندوة (بيروت: د/ت)، ج٢، ص٧٠.

القائد الفاتح

كان يزدجرد ملك الفرس بعد هروبه من المدائن يقيم في مرو، فأرسل إلى عماله في المدن الفارسية – التي لم تصلها الجيوش العربية الإسلامية بعد- لجمع ما لديهم من قوات وجيوش لمواجهة العرب المسلمين فاجتمع له أهل قومس واصبهان وهمدان واذربيجان والري وغيرها وتوجهوا نحو نهاوند وجعلوها مقرا لهم(٥٤)، وبلغ تعدادهم مائة وخمسون ألف مقاتل وجعل الفيرزان قائدا عليهم(٥٥).

فلما علم سعد بن أبي وقاص بذلك أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولأهمية الأمر قرر ان يذهب بنفسه أيضا إلى الخليفة لإخباره(٥٦)، وعند وصول سعد أمر عمر رضي الله عنه بان ينادى (الصلاة جامعة)، فجمع المسلمين وكبار الصحابة لعرض الأمر عليهم واستشارتهم فقام إلى المنبر خطيبا وقال: "هذا يوما له ما بعده من الأيام إلا واني قد هممت بأمر واني عارضة عليكم فاسمعوه ثم اخبروني فأوجزوا ولا تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ولا تكثروا ولا تطيلوا فتشفغ(٥٧) بكم الأمور ويلتوي عليكم الرأي، فمن الرأي ان أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى انزل منزلا وسطا بين هذين

---

(٥٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص١٢١؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٤.

(٥٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٢٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦.

(٥٦) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦؛ بينما يذكر الدينوري ان عمار بن ياسر هو الذي كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الأخبار الطوال، ص١٣٤.

(٥٧) الشفغ: اتساع الشيء وانتشاره.

المصرين – البصرة والكوفة – فاستنفرهم ثم أكون لهم رداء حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما احب"(٥٨).

فقام عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فتكلموا كلاما بينوا فيه عدم موافقتهم على خروج الخليفة بنفسه لقيادة المعركة وقالوا له: "ان في المسلمين قادة يكفونك الخروج فاذن لهم واختر عليهم قائدا يسير بهم، ثم قام سعد بن أبي وقاص وأيد رأيهم، ثم قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: "انك ان شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع ورائك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيلات... وان الأعاجم ان ينظروا إليك غداً قالوا هذا أمير العرب واصل العرب فكان ذلك اشد لكلبهم والبتهم على نفسك"(٥٩).

فصدقهم رأيهم ووافقهم عليه وقال: "أشيروا على برجل أوله ذلك الثغر غدا" قالوا: أنت افضل رأيا واحسن مقدرة، قال: أشيروا علي به واجعلوه عراقيا، قالوا: يا أمير المؤمنين أنت اعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك ورايتهم وكلمتهم فقال: والله لأولين أمرهم رجلا ليكونن لأول الاسنة إذا لقيها غدا، فقيل من يا أمير المؤمنين فقال: النعمان بن مقرن المزني، فقالوا هو لها"(٦٠).

(٥٨) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٢٣ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٧.

(٥٩) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٢٥ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٨.

(٦٠) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٢٦ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٨-٩.

ان اختيار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنعمان بن مقرن لم يأت اعتباطيا فهو أكيد جاء على معرفة تامة به، فقد كان أمام عمر رضي الله عنه جم هائل من كبار الصحابة والقادة من الرعيل الأول في الإسلام إلا ان اختياره لقائد هذه المعركة الحاسمة والفاصلة وتأكيده ان يكون عراقيا انما ينم عن بعد نظر وبصيرة نافذة لان هذه المعركة ليست معركة اعتيادية عابرة، فالفرس كانوا قبل ظهور الإسلام يمتلكون إمبراطورية كبيرة مترامية الأطراف لا تضاهيها سوى الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت، وقد وجد الفرس أنفسهم قد اصبحوا على حافة الهاوية خاصة بعد معركة القادسية التي كانت الضربة القاصمة لهذه الإمبراطورية، ولهذا فانهم قد جمعوا كل قوتهم وأجنادهم وسلاحهم في محاولة لإعادة اعتبارهم أمام هذه الثلة القليلة التي جاءتهم من قلب الصحراء، ولذا فان هذه المعركة معركة مصيرية البقاء فيها سيكون للمنتصر، ولذلك استهال الخليفة عمر رضي الله عنه عندما سمع بحشود الفرس التي بلغت أضعافا مضاعفة عن قوة المسلمين، وعليه جاء اختيار الخليفة عمر رضي الله عنه للنعمان لعلمه بأنه من القادة الذين يحسمون المعارك في احلك الظروف وقد جربه في ذلك مرات عدة، وكذلك فان النعمان يفضل الجهاد على غيره من المناصب الإدارية الأخرى مهما كانت رتبتها بل انه يرفضها رفضا قاطعا[٦١].

(٦١) عن حب النعمان للجهاد وتفضيله له انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٢٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٠٥.

وفي أثناء ذلك التجمع المهيب الذي حضره كبار الصحابة كان النعمان عاملا على كسكر[٦٢] وقبل ان يتم اختياره من قبل الخليفة عمر رضي الله عنه لقيادة هذه المعركة كان النعمان قد كتب رسالة إليه يبلغه فيها ان سعد بن أبي وقاص قد جعله على خراج كسكر وهو يحب الجهاد، فطلب من عمر رضي الله عنه ان يعزله عن الخراج ويضعه في جيش المسلمين[٦٣].

وبعد ان تمت الموافقة من جميع الحاضرين على قيادة النعمان لهذه المعركة كتب الخليفة عمر رضي الله عنه رسالة إلى النعمان يبلغه فيها بتعيينه أميرا عاما على القوات الإسلامية التي ستتوجه إلى نهاوند "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن، سلام عليك فاني احمد إليك الله الذي لا اله إلا هو، أما بعد فانه قد بلغني ان جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا آتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا تواطئهم فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرنهم ولا تدخلنهم غيضة فان رجلا من المسلمين احب إلي من مائة آلف دينار، والسلام عليك[٦٤]، ثم أعطى الكتاب للسائب الأقرع ليوصله إلى النعمان وقال له "ان قُتل النعمان فول

(٦٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٩؛ بينما يذكر خليفة بن خياط انه كان في الكوفة، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص١٢٠؛ وفي رواية ثانية للطبري انه كان في البصرة، تاريخ الرسل، ج٤، ص٢٦.

(٦٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٤؛ أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٨٨)، ج٧، ص٣٠٠-٣٠١.

(٦٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٥ .

الأمر حذيفة بن اليمان وان قتل فول جرير بن عبد الله البجلي وان قتل فالمغيرة بن شعبة وان قتل فالأشعث بن قيس"(٦٥).

كما كتب الخليفة عمر رضي الله عنه كتابا آخر إلى أبي موسى الاشعري – وكان على البصرة – يأمره بان يسير بثلث أهل البصرة وينضم تحت راية النعمان(٦٦)، وكتب إلى والي الكوفة يأمره بان يرسل ثلثي أهلها(٦٧)، فاجتمع للنعمان جيشا قوامه ثلاثين ألفا(٦٨)، وكان من ضمنهم ثلة من كبار الصحابة منهم عبد الله بن عمر وطليحة بن خويلد الاسدي وعمر بن معد يكرب الزبيدي وغيرهم فضلا عمن اختيروا للقيادة فيما لو استشهد النعمان(٦٩).

وكان لدى النعمان حنكة عسكرية وخبرة عالية في القتال، فلم يباشر بالهجوم أول الأمر بل أرسل العيون والجواسيس لتأتيه بأخبار العدو ولكشف الطريق من اجل ضمان أمن الجيش الإسلامي(٧٠)، وبالرغم من خبرة النعمان العسكرية إلا انه لم يتخذ أي قرار انفرادي بل انه جمع آهل الرأي والمشورة من قادته وجنده وطلب منهم إبداء آرائهم في خططه العسكرية، وبعد عدة آراء اتفقوا ان يرسلوا بعض الفرسان لاستثارة الفرس ثم ينسحبوا أمامهم ليبينوا لهم انهم يهربون فيخرج الفرس لاتباعهم وبالتالي

(٦٥) البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٧١؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٣.

(٦٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٥؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٢، ص٤١.

(٦٧) البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٧١.

(٦٨) ابن اعثم، الفتوح، ج٢، ص٤٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٠.

(٦٩) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٥.

(٧٠) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٢٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٩-١٠.

ينقض عليهم المسلمون[٧١]، فقسم النعمان قواته فجعل في مقدمته شقيقه نعيم بن مقرن وعلى جانبيه حذيفة بن اليمان وشقيقه سويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود[٧٢].

وعند اقتراب موعد تنفيذ الخطة ركب النعمان برذونا وسار يخطب بين الجنود بخطى المؤمن التقي الواثق بنصر الله فجعل يقف على كل راية ويحمد الله ويثني عليه ويقول "قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور وقد أنجز لكم هوادي ما وعدكم وصدوره وانما بقيت أعجازه واكارعه والله منجز وعده ومتبع أواخر ذلك أوله واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وانتم أعزة فانتم عباد الله حقا وأولياؤه... فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم، واتقى الله عبد صدق الله وبلى نفسه فاحسن البلاء فأنكم بين خيرين منتظرين أحد الحسنيين من بين شهيد حي مرزوق او فتح قريب وظفر يسير... اللهم اعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك[٧٣].

وفعلا تمت الخطة بنجاح إذ أرسل النعمان القعقاع بن عمرو وجنوده فانشب القتال ثم انسحب فتبعه الفرس وبدءوا بالهجوم على المسلمين وكان النعمان ينتقل بين الرايات يحث المقاتلين على الصبر والثبات، وأمرهم ان لا يبرحوا أماكنهم حتى يأمرهم[٧٤]، وقال لهم: "اني مكبر ثلاثا ـ وفي بعض المصادر هاز الراية ثلاثا ـ فإذا كبرت الأولى فشد رجل شسعة واصلح من شانه، فإذا

(٧١) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٢٩-١٣٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١١ .

(٧٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٠.

(٧٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٣٢ .

(٧٤) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١٣١ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١١-١٢.

كبرت الثانية فشد رجل إزاره وتهيأ لوجه حملته، فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم فاني حامل"[٧٥].

وبدأت الفرس ترمي المسلمين فطلب منه بعض القادة البدء بالهجوم فأمرهم بالتريث قائلا لهم: "اني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى نزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر"[٧٦] ثم قال: "اللهم ارزق النعمان شهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم"[٧٧]، وعندما حانت الساعة هز رايته وكبر ثلاثا فحمل وحمل المسلمون، وكان في مقدمة الصفوف، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعلم مثله قط وصبر المسلمون صبرا عظيما وانكسرت الأعاجم، ولكن سهما أصاب النعمان[٧٨] فاستشهد وكان أول شهيد في المعركة فحمل أخوه سويد الراية وسلمها إلى حذيفة بن اليمان واخفى موته كي لا يحدث خللا في صفوف المقاتلين[٧٩]، ولما اظلم الليل انهزم الفرس فتبعهم المسلمون وصل الفرس طريقهم فانحدروا نحو اللهب الذي كانوا قد تركوه خلفهم قبل بدء المعركة فوقعوا فيه فاحترق منهم الكثير عدا من قتل منهم في المعركة، ولم يفلت منهم إلا

(٧٥) البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٧٢؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٧٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج١، ص١٢٢؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٧٢؛ السعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٢٣.

(٧٧) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٥٠٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٤٣.

(٧٨) وقبل ان فرسه زلقت في ارض المعركة من كثر الدم الذي غطى وجه الأرض، الطبري تاريخ الرسل، ج٤، ص١٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٣.

(٧٩) البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٣٧٣؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٢، ص٥٠؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٣.

الشريد، أما قائدهم الفيرزان فهرب نحو همدان[٨٠] فتبعه نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فأدركه القعقاع وقتله[٨١]، فكان نصرا كبيرا للعرب المسلمين لم تقم للفرس بعده قائمة ولذا سماها المسلمون (فتح الفتوح) وقال فيها القعقاع شعرا كثيرا منه[٨٢].

ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا ... لشد ليال أنتجت للأعاجم

فنحن لهم بينا وعصل سجلها ... غداة نهاوند لإحدى العظائم

ملأنا شعابا في نهاوند منهم ... رجالا وخيلا أضرمت بالضرائم

وراكضهن الفيرزان على الصفا ... فلم ينجه منا انفساح المخارم

ثم انتدب السائب الأقرع رسولا إلى الخليفة عمر رضي الله عنه ليبلغه بشرى النصر فوجده يترقب وينتظر في وجل فأبلغه بشرى النصر، فسأله عن النعمان فقال له استشهد، فقال الخليفة: "انا لله وانا إليه راجعون ثم بكى فنشج حتى باتت فروع كتفيه فوق كتده" [٨٣] ثم وضع يده على رأسه وصاح يا أسفي على النعمان[٨٤].

(٨٠) اكبر مدينة في إقليم الجبل مساحتها أربعة فراسخ في مثلها، عذبة الماء وطيبة الهواء. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤١٠.

(٨١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٣.

(٨٢) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٢.

(٨٣) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص١١٦ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٥؛ والكتد مجمع الكتفين.

(٨٤) أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: احمد أمين واخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٥٦)، ج٣، ص٢٣٥.

لقد كان النعمان قائدا مؤمنا تقيا زهد عن الدنيا ورفض كل مناصبها وملاذها، فلطالما عرض عليه الخليفة عمر رضي الله عنه ان يوليه بعض المناصب الإدارية لكنه رفض ذلك وابلغه انه رجل يحب الجهاد، بل لم يكن يرغب حتى في إمرة الجند إذ كان يفضل ان يكون جنديا في مقدمة الصفوف يجاهد في سبيل الله علّه يحظى بالشهادة، ولطالما كان يدعو ربه أن يكرمه بالشهادة وهو يجاهد في سبيله فكان أول المكرمين بها يوم وقعة نهاوند سنة ٢١هـ(٨٥)، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه إذا ذكر النعمان بعد وفاته قال: "يا لهف نفسي على النعمان"(٨٦).

(٨٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٦؛ الذهبي سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥٧؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٤٥٦.

(٨٦) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٧، ص٣٠١.